

## الفصل الأول

لبنان ومسلموه

يوم أعلن لبنان الكبير في سنة 1920 بسعي حثيث ونشيط من قبل الغالبية من المسيحيين وتأييد أقلية من المسلمين وبتسليم من الفرنسيين، كان المسلمون بغالبيتهم العظمى، وتأييد أقلية قليلة من المسيحيين من جميع الطوائف، يعارضون بعنف وشدة الدولة الجديدة.

فالظروف والأحداث التي تسارعت على نحو مذهل في خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها، صعقت الوجدان الاسلامي. ذلك أن المسلم انتقل، في لبنان وفي البلاد المنسلخة عن العثمانيين، من وضع الحاكم والأمر الناهي في دولة مترامية الأطراف يغلب عليها النظام الاسلامي، الى وضع الغارق تحت سيطرة أجنبية "كافرة مشرقة" تحمل في طياتها، بالإضافة الى ذلك، أخطارا أخرى جمة على الاسلام والمسلمين. أليست هذه القوى الأجنبية هي نفسها التي فرضت على الدولة العثمانية ابتداء من القرن التاسع عشر "التنظيمات" و"الدستور" حيث ذكر للمرة الأولى في مجتمع إسلامي – ولو بالقول فقط – مبدأ المساواة بين المسلم وغير المسلم؟

### الرفض الاسلامي

في كل المناطق المسلوخة عن الامبراطورية العثمانية، عارض المسلمون بما لا يقبل الهوادة مبدأ التجزئة الذي فرضه الحلفاء المنتصرون. وفي لبنان، وفضلا عن ذلك، كانت معارضة المسلمين تركز أيضا على شعور بأن الدولة الجديدة سيحكمها "الموارنة" بسبب علاقتهم التاريخية بالدولة الافرنسية. أو على الأقل، فإن الحكم سيكون حتما لإسلاميا. طبعاً، لم يعلن المسلمون دائماً حقيقة شعورهم هذا. فكانوا يغلفونه، غالباً، بالمطالبة بـ"الوحدة السورية" أو "الوحدة العربية".

وبسبب رفض المسلمين لدولة لبنان الكبير، أضربوا عن المشاركة في إحصاء سنة 1922 "إستتكافاً عن حمل أوراق هوية تقيدهم لبنانيين" كما يقول محمد جميل بيهم<sup>1</sup>. ويضيف: "ومضوا (اي المسلمون) في إضرابهم هذا حتى اضطرّ الجنرال غورو أن يقنعهم بالعدول عنه، وذلك بأن يقصّ من تذاكر الهوية شطرها الأدنى الذي يشير الى أن حامل التذكرة لبناني"<sup>2</sup>.

وقد رفض المسلمون أيضاً الاشتراك في انتخاب سنة 1922 للمجلس النيابي الأول في لبنان. كما رفضوا المشاركة في سن الدستور اللبناني بمقتضى قرار اتخذه أعيان المسلمين في نادي جمعية المقاصد الخيرية رداً على كتاب اللجنة النيابية المكلفة بسنّ الدستور اللبناني، وذلك في شهر كانون الثاني من السنة 1926. وكان الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت رئيساً لهذه الجمعية.

واحتجّ النواب القائلون بالوحدة السورية على إلحاق مناطقهم بلبنان، وسجّلوا احتجاجهم في محضر جلسة المجلس عقب دخول لبنان في العهد الدستوري سنة 1926.

<sup>1</sup> محمد جميل بيهم: النزعات السياسية بلبنان، منشورات جامعة بيروت العربية، 1977، ص 12  
<sup>2</sup> المصدر السابق

وفي دمشق، عقد مؤتمر بتاريخ 23 حزيران سنة 1928 لمناسبة انتخاب اللجنة التأسيسية بسورية، وذلك للمطالبة بالوحدة السورية. وقد قصدت الى هذا المؤتمر وفود الساحل من بيروت وصيدا وطرابلس وبعبك ووادي التيم، وساهم فيه أعضاء من مجلس لبنان النيابي وعمار وتلكلخ واللادقية وطرطوس.

أما بعد إحصاء سنة 1932، فقد تقدمت جمعية إتحاد الشبيبة الإسلامية في بيروت بعريضة تطالب صراحة بالرئاسة الأولى<sup>3</sup>.

وفي المؤتمر الأول للساحل والذي انعقد في بيروت في شهر تشرين الثاني من السنة 1933، قرر المؤتمر المطالبة بضم المناطق الملحقة بلبنان الى سورية. وقد أكد هذا القرار مؤتمر الساحل الثاني في بيروت بتاريخ 10 آذار سنة 1936 لمناسبة المفاوضات التي كانت جارية بين فرنسا وسورية لعقد معاهدة تحالف. وفي كواليس هذا المؤتمر، دعا أحد المشتركين فيه، كاظم الصلح، "الى الأخذ بنظرة جديدة في المطالبة بالوحدة (السورية). وخلصتها تكييف هذا المطلب مع ضرورات كانت قائمة يومئذ، منها تسهيل مهمة "الوطنية السورية" في تحرير سوريا من الاستعمار الفرنسي ثم استمرار تعبيد الطريق أمام الفئات اللبنانية لتتضمن مجموعة في تحرير لبنان كله من الاستعمار، على أن يستتبع هذه الخطة الجديدة تكريس للاهداف القومية العربية في مؤسسات أكثر شمولا ومرونة، تقوم بين البلاد العربية قاطبة، بما فيها سوريا ولبنان بشكله الراهن"<sup>4</sup>.

والملاحظ أن "الوحدويين" أو "الاتصاليين" (كما كانوا يسمون) كانوا يغيرون في "التكتيك" وليس في الهدف النهائي، كما كانت حالهم، أيضا، مع الميثاق الوطني في مرحلة الاستقلال سنة 1943.

### الفشل في كسب المسلمين

رغم أن مشروع "المعاهدة اللبنانية - الفرنسية" سنة 1936 كان مناسبة لتأجيج نيران المعارضة ضد الكيان اللبناني في حدوده المعلنة سنة 1920، فقد كان، أيضا، مناسبة للعمل من أجل كسب المسلمين للبنان.

"ولما عازمت الدولة المنتدبة سنة 1936 أن تعقد معاهدة مع لبنان جريا على ما تفعل في سوريا، وكان لا سبيل الى عقد هذه المعاهدة مع بلد لا يعترف نصف أهله بكيانه، بذلت مساع من قبل الاستاذ اميل إده رئيس الجمهورية اللبنانية وقتئذ لانتزاع موافقة الجماعة عند المسلمين والاعتراف بالكيان اللبناني. وقد تمكن من إدراك هذه الأمنية بشكل صوري إذ أخذ موافقة بعض الوجوه في اجتماع عقد لهذه الغاية، وكانت هذه الموافقة على شروط معلومة دوتت في ملاحق المعاهدة وعرفت بالمراسلة رقم 6 و6 مكررة، وقد ساعده على ذلك أن سوريا اضطرت - تحت الرغبة الملحة بعقد مثل هذه المعاهدة التي تلغي الانتداب - الى أن تعترف بالأمر الواقع الذي قرّره عصابة الأمم أي اعتبار لبنان وسوريا دولتين تستقل الواحدة منهما

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 29

<sup>4</sup> عادل الصلح: حزب الاستقلال الجمهوري، دار الطليعة، بيروت، 1970، ص 122

عن الأخرى. ولكن سرعان ما بدا أثر غير مستحب في نفوس الشعب، فقد أذاعت جمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية فوراً بياناً أعلنت فيه ثبات المسلمين على مبدأ الوحدة السورية، وكذلك المجلس القومي الإسلامي ما لبث أن شعر بأن الوعود التي قطعت ودوّنت في ملاحق المعاهدة لم تكن سوى شباك ألقيت جانبا عندما أدرك الذين نصبوها غايتهم، فثارت ثورة هذا المجلس ورجع إلى السياسة السلبية وقدم مذكرتين بتوقيع رئيسه المرحوم سليم علي سلام إحداهما إلى المسيو دلبوس ايفون، وزير الخارجية في باريس، مستشهداً فيها بفقرة من التقرير الذي تلاه الشيخ بشاره الخوري وقتئذ في المجلس النيابي اللبناني، بصفته رئيس اللجنة البرلمانية، ووجه فيه نظر الحكومة الفرنسية إلى روح القلق الذي يسيطر بصورة خاصة على الأوساط الإسلامية بسبب عدم الاستجابة لمطالبها. والمذكرة الثانية قدمها المجلس إلى الكونت دي مرتيل المفوض السامي آنذاك، وذلك في صيف عام 1937 وقد احتج بها النكول عن الوعود المقطوعة وطلب فيها الوحدة السورية<sup>5</sup>.

### الميثاق الوطني: خذ وطالب

بقيت السلبية سياسة للمسلمين حتى إعلان الجنرال كاترو يوم 16 تشرين الثاني سنة 1941 الإستقلال اللبناني.

وفي جو التهيئة العملية للإستقلال الفعلي، إنبثقت "في غرة عام 1942" "الكتلة الإسلامية" التي "تألفت من وجوه ومفكرين وأدباء من الطوائف الإسلامية: الدروز والشيعية والسنة"<sup>6</sup>. وكان لهذه الكتلة موقف فعّال - خصوصاً بعد تدخل رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس باشا - في تعطيل العمل بالمرسومين 49 و50 تاريخ 17 حزيران 1943، اللذين يحددان عدد النواب بالنسبة للطوائف تحضيراً للإنتخابات العامة، ويعتبران المغتربين الحائزين على الجنسية اللبنانية جزءاً من الهيئة الانتخابية اللبنانية.

وفي أجواء ما سمي فيما بعد "الميثاق الوطني"، جرت الإنتخابات النيابية سنة 1943 وانتخب الشيخ بشاره الخوري رئيساً للجمهورية. وتشكلت الحكومة الاستقلالية الأولى برئاسة رياض الصلح. فعُدلت الدستور، وصمدت أمام تهديدات الفرنسيين.

ولم يطلّ الحادي والثلاثون من شهر كانون الأول من السنة 1946، حتى كانت الجيوش الأجنبية كافة قد جلت عن لبنان. ذفتمّ للبنان استقلاله التام.

ولكن هل بذل المسلمون من نظرتهم إلى لبنان وإلى الوصول إلى حكم إسلامي؟

منذ الإستقلال وحتى اندلاع الحرب اللبنانية، وفي خلالها وبعدها، ومروراً بأحداث سنة 1958 - حيث لم تكن القضية الفلسطينية قد أصبحت ذريعة للتمرد - لم يكلّ المسلمون ولم يملؤوا من التستر بغير سبب ومطلب للعمل من أجل الوحدة

<sup>5</sup> بيهم، ص 13 - 14

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 35

العربية، والتي هي إسلامية الشكل والمحتوى، كما سنرى، ولتسلم رئاسة الجمهورية كأداة تحقق هذا الهدف.

وإذا لم يكن الأمر هكذا، فلماذا قال رشيد كرامي، رئيس الحكومة اللبنانية في فترة طويلة من فترات الحرب اللبنانية، وتحت قبة البرلمان بتاريخ 23 تشرين الأول 1975: إن الميثاق الوطني وضع لمرحلة، وقد تغيرت الظروف الآن؟<sup>7</sup> وهذا الرأي أكده المفتي الشيخ حسن خالد في لقائه مع الموفد الأميركي دين براون بتاريخ 3 نيسان 1976 عندما قال: "الميثاق الوطني هو ميثاق بين طرفين في ظل الانتداب الفرنسي. في هذه الفترة كان الوطنيون يريدون الخلاص من الأجنبي، فكان لا بد من الاتفاق السريع والخلاص بشيء مرحلي، فكان الميثاق الشفوي مبنياً على نقطتين: تخلي المسيحيين عن الحماية وتخلي المسلمين عن الوحدة العربية"<sup>8</sup>. وفي اللقاء نفسه، أكد المفتي وجوب تعديل الدستور "بحيث يحرص على ذكر أن لبنان جزء من الأمة العربية..."<sup>9</sup>

ألا يثبت هذا الكلام ما قاله محيي الدين النصولي سنة 1936: "ما لا جرم فيه أن المسلمين لا يرضون عن الوحدة بديلاً. هذه هي عقيدتهم لن تتبدل ولن تتحور ولو تبدلت الأرض غير الأرض والسماء غير السماء، فهم مطمئنون الى هذه العقيدة مؤمنون بها إيماناً شديداً"<sup>10</sup>.

## حق أريد به باطل

أما تسلم رئاسة الجمهورية فكان مغلفاً بمطلب إلغاء الطائفية السياسية. وما أكثر ما استعملت هذه العبارة من قبل المسلمين واليسار المتبني ظاهرياً مطالب المسلمين والمحارب باسمها للسيطرة عليهم.

فما كان المقصود من عبارة "إلغاء الطائفية السياسية"؟ المقصود منها هو التالي:

ما دام المسلمون هم الاكثرية من حيث عدد اللبنانيين (في نظر المسلمين ودون أن يكون هناك رقم رسمي يؤيد هذا الاعتقاد)،

ولما كانت الطائفية السياسية لا تسمح لهم بالوصول الى الرئاسة الاولى، إذا، لا بدّ من التخلص من هذه العقبة عن طريق إلغاء الطائفية السياسية والادارية، فيصل المسلمون، عاجلاً أم آجلاً، الى تولي الحكم عن طريق رئاسة الجمهورية.

والملاحظ أن كمال جنبلاط قدّم الى الهيئة الوطنية للحوار في ايلول 1976 برنامج "الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية" والذي يكتفي فيه بالمطالبة "بالغاء الطائفية السياسية في مجال التمثيل الشعبي وفي الإدارة والقضاء والجيش"<sup>11</sup>.

<sup>7</sup> الصحف الصادرة في بيروت، تاريخ 24 تشرين الأول 1975

<sup>8</sup> انطوان خويري: حوادث لبنان، الجزء الأول، ص 265

<sup>9</sup> المصدر السابق

<sup>10</sup> جريدة "بيروت" 28 تموز 1936

<sup>11</sup> انطوان خويري: حوادث لبنان، الجزء الأول، ص 265

أما جمعية متخرجي المقاصد فقد أذاعت في 11/25 1975 بياناً طويلاً طالبت فيه، في جملة ما طالبت به، إلغاء الطائفية السياسية<sup>12</sup>. قال البيان: "ويترتب على إلغاء الطائفية السياسية إلغاء تاماً قيام العلمنة التي لا تتعارض مع المعتقدات الدينية الأصيلة"<sup>13</sup>. وقد علق الناس يومئذ على "شطارة" هذه الجمعية لجهة خداع غير المطلعين من الناس. فكيف تقوم "علمنة لا تتعارض مع المعتقدات الدينية" والمعتقدات الدينية المعنية، وهي الإسلام، تقول بأن الإسلام دين وديناً؟

### المسلمون مع الغريب ضد مواطنيهم المسيحيين

غير إن الذي حزّ في قلوب المسيحيين اللبنانيين، ولا يزال، هو هذا التأييد غير المشروط الذي قدّمه مسلمو لبنان إلى الغرباء وإلى اليسار الملحد، وهذه المؤازرة على قتل مواطنيهم المسيحيين وتشريدهم. لقد أيدّ مسلمو لبنان أولئك وساهموا معهم في التقتيل والتشريد عن طريق "المرابطون" ومنظمة "أمل" الشيعية "وجند الله" وسائر المنظمات والهيئات الإسلامية.

ولا لزوم للدخول في تفاصيل الهجوم على القاع ودير الأحمر وحوش بردى (والمهاجمون يصرخون: الجهاد، الجها)، وبق الياس والقدام وتعلبايا وزحله وسواها من قرى البقاع وديارها،

ولا الهجوم على بيت ملات ورحبه وبقرزلا ودير جنين وبزبينا والقبيات وعندقت وتل عباس في عكار (علما بأن أهالي تل عباس مؤيدون للياسار على اختلاف فصائله)، وما جرى في تل عباس في تشرين الأول من سنة 1975 والمهاجمون يصرخون: "الله اكبر، لا إله إلا الله"، لدليل ساطع على اضطهاد إسلامي للمسيحيين،

ولا الهجوم على الناعمة وعلى دير الناعمة وعلى الدامور، وقد علت أصوات المهاجمين: "الله اكبر، أسلم تسلم"،

ولا الهجوم على الدبية في الشوف، ولا ذبح المسيحيين في قراه إثر اغتيال كمال جنبلاط، (علما بأن الجميع عارف من قتل كمال جنبلاط)،

ولا الهجوم على عين إبل والقلعة والعيشية وسواها من قرى الجنوب. هذا فضلا عن أمكنة العبادة المسيحية والأديار، والاعتداء على الكهنة والراهبات والرهبان.

ففي دير عشاش ذبح كهنة عجرة كانوا موجودين فيه. وكان المهاجمون يصرخون: "الله اكبر، لا إله إلا الله، دين الإسلام هو الأقوى، (في الثالث من أيلول 1975)،

وفي بيت ملات، قتل خادم الكنيسة (القندلفت) أمام المذبح، وفي مدرسة الآباء الكرمليين في طرابلس، كتب محتلوها على لوحة اعلانات المدرسة: "دين الإسلام هو الأقوى"،

<sup>12</sup> المصدر السابق، ص 455  
<sup>13</sup> المصدر السابق

وفي كنيسة مار جرجس للروم الأرثوذكس في بيروت، أطلق المهاجمون النار على الإرشمندريت إسكندر نصر وهو يقدم الذبيحة الالهية، وفي دير الناعمة، طلب المهاجمون الى الرهبان دؤس الصليب، وفي مستشفى مار الياس في وادي بو جميل، صرعت الراهبة فيلومين خوري بينما كانت تعالج أحد المرضى، وفي دير جنين، في عكار، أعدم كاهنان في الساحة العامة (18 كانون الثاني 1976)،

وعلى اوتستراد سن الفيل، كاد الاعتداء على المطران يوسف الخوري من قبل "فتيان علي" يودي بحياته، وقد دنست كنائس وأديرة عديدة في شمالي لبنان وفي بيروت وضواحيها وفي بعدا والمتن وفي البقاع وفي الجنوب، وكتبت على جدرانها وعلى المذابح عبارات كثيرة من مثل: الله اكبر، دين الاسلام هو الاقوى، الموت للنصارى... واغتيل مثقفون مثل كمال يوسف الحاج وهنري نقاش. وأحرقت مؤسسات ثقافية، مثل متحف سليمان البستاني في الدبيّة، ومؤسسات تعليمية وإنسانية مثل مؤسسة الأب قرطباوي...

والآن، هلا تساءلنا: لماذا تصرف المسلمون تجاه المسيحيين هذا التصرف؟ وهل له مبرر عقائدي ديني اسلامي؟ أم أنه يعود فقط الى ظروف تاريخية، كما جرى للمجتمعات المسيحية في أوروبا حيث تحاربت وتذابحت، ظاهرياً، على الأقل، باسم الدين ومن أجله؟  
الجواب نراه في موقف القرآن من المسيحيين.